أشراط الساعة الكبرى !

د. اياد فوزي حمدان

المقدمة:

إن الساعة المؤذنة بنهاية هذا العالم الدنيوي لها مكانة عظيمة، والاهتمام بها لا شك واجب عظيم فهي أولى مراحل يوم القيامة، وهي أحد أصول الإيمان الست. ولكن متى الساعة؟ لا أحد يعلم سوى الله الخالق إذ يقول {إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ } (لقمان: 34) وقد جاء في حديث جبريل υ قول النبي ρ: (ما المسئول عنها بأعلم من السائل) [1] فأعلى الملائكة منزلة وأعلى البشر منزلة كلاهما لا يعلمان عن موعدها شيئاً ، وبالتالي فما دونهما من الخلائق أجهل بوقتها. ولكن المولى جل وعلا يؤكد أنها واقعة لا شك في ذلك. وقد جعل لها آيات وأمارات يعرف منها مدى قربها منا.

بل إنها أقرب مما نظن إذ يقول تعالى {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ } (القمر: 1) وهي قريبة في علم الله وليس بمقاييسنا البشرية وعقولنا المحدودة. قال تعالى: {إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا* وَنَرَاهُ قَرِيباً } (المعارج: 6، 7) وقال ρ: (بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير باصبعيه فيمدهما). [2] فكما أنه ليس بين السبابة والوسطى اصبع فليس بين الساعة وبعثة النبي ρ إلا وقت قليل بمقاييس الله عز وجل.

! الأستاذ المساعد بجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا السُّودان.

([1]) متفق عليه، صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الإيمان. جـ1 ص 114، ورواه مسلم صحيح مسلم، جـ1. ص 259.

([2]) حديث متفق عليه، صحيح البخاري كتاب الرقاق جـ 5ص 2385، برقم 6138، أنظر فتح الباري جـ 11 ص347، رواه مسلم كتاب الغش، جـ 18 ص 30 برقم 2950 باب قرب الساعة.

ولعظم شأن الساعة سماها الله تعالى في القرآن باثنين وعشرين اسما يقول القرطبي: (فالقيامة لما عظم أمرها وكثرت أهوالها وسماها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة ووصفها بأوصاف كثيرة)[1]. نقل ابن خلدون في المقدمة بعض المحاولات من علماء السلف لتحديد موعدها كالإمام ابن جرير الطبري فإنه استظهر من بعض النصوص أن فناء الدنيا يقع بعد خمسمائة عام من بعثة النبي ρ ولم يقع الأمر. وكذلك العلامة السهيلي فقد جمع الحروف المقطعة في القرآن وحذف المكرر منها، وعمل فيها بحساب الجمل وحدد أجلاً بضع مئات من السنين[2] وكذلك العلامة السيوطي في رسالة اسماها الكشف عن مجاوزة الأمة الألف حيث توقع قيام الساعة على رأس المائة الخامسة بعد الألف.[3]

وهؤلاء العلماء قد اجتهدوا في غير محل الإجتهاد. غفر الله لهم، فهذا من الأمور المغيبة التي استأثر الله عز وجل بها. فالأولى الكف عن البحث فيها والإستعداد لها .

المطلب الأول: تعريف أشراط الساعة:

سمى الله علامات الساعة أشراطها فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ } (محمد: 18) والأشراط جمع شرط: العلامة، وأشراطها علاماتها.[4]

([1]) أبوعبد الله القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى والآخرة. ص 293.
([2]) ابن خلدون، المقدمة. ص 210، 211.
([3]) محمد السفاريني، لوامع الأنوار البهية، جـ 2. ص 266.
([4]) مختار الصحاح. ص 334.

والأشراط اصطلاحاً : هي العلامة التي تسبق يوم القيامة وتدل على قدومها[1].

وأما لفظ الساعة: فهي جزء من أجزاء الليل والنهار، وجمعها ساعات[2].

اصطلاحاً : هي الوقت الذي تقوم فيه الساعة، قد سميت بذلك، لسرعة الحساب فيها، وٲ لأنها تفاجئ الناس في ساعة، فيموت الخلق كلهم بصيحة واحدة [3]وقسم العلماء أشراط الساعة لقسمين: صغرى وكبرى.

فالصغرى: التي تتقدم الساعة بأزمان بعيدة متطاولة وتكون في أصلها معتادة الوقوع.

والكبرى: وهي التي تقارب قيام الساعة مقاربة وشيكة سريعة وتكون في ذاتها غير معتادة الوقوع.

وأشراط الساعة الصغرى كثيرة ومتعددة وقد وردت في أحاديث كثيرة منها على سبيل المثال. عن أنس بن مالك τ قال: (قال ρ من أشراط الساعة أن يَقِل العلم، ويظهر الجهل، ويظهر الزنا، وتكثر النساء، ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القيِّمُ الواحد)[4]

([1]) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، جـ2. ص 460.
([2]) المعجم الوسيط، جـ1 ص 463.
([3]) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، جـ2. ص 422.
([4]) رواه البخاري، جـ1ص 43 كتاب العلم رقم 81.

ومنها حديث عبد الله بن مسعود τ عن النبي ρ قال: (إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة، وفشوا التجار حتى تعين المرأة زوجها على التجارة وقطع الأرحام، وشهادة الزور، وكتمان شهادة الحق، وظهور القلم).[1]

وهنالك الكثير غيرها .... وأما أشراط الساعة الكبرى فقد جمعها حديث حذيفة بن اسد τ قال: طلع النبي ρ علينا ونحن نتذاكر فقال: ما تذاكرون ؟ قالوا: نذكر الساعة قال: أنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشرة آيات، فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها. ونزول عيسى ابن مريم،وياجو ج وماجوج، وثلاث خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم).[2] والآيات الكبرى متتابعة في وقوعها لا يكاد يفصل بينها فاصل زمني وبعضها متداخل. وقبل أن تزول إحداها تقع التي تليها فهي في تتابعها كالعقد إذا إنفرط فإن الحبة الأولى تسقط فتتبعها بقية الحبات بلا تأخير قال ρ: (الأمارات خرزات منظومات في سلك فإن يقطع السلك يتبع بعضها بعضاً)[3]

([1]) الامام أحمد، المسند. جـ 1 ص 407، الحاكم، المستدرك. جـ1 ص 445، وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم 647. جـ2 ص 250.

([2]) رواه مسلم، بروايات مختلفة كتاب الفتن وأشراط الساعة أنظر مسلم بشرح النووي. جـ 18 ص 144 رقم (39، 40، 41) وأبو داود، السنن كتاب الملاحم. جـ 3 ص 813 والترمذي السنن كتاب الفتن حديث رقم 1774. جـ 2 ص 236.

([3]) رواه الحاكم، المستدرك. جـ 4 ص 546، وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة. جـ 4 ص 361 رقم (1762).

فمراده ρ أن هذه الأحداث تقع متتابعة متواليه فالمهدي يخرج ويعز الإسلام في زمانه، فيخرج الدجال زمانه،ويقضي على تلك القوى و يحصر المهدي ومن معه، فينزل المسيح عيسى ابن مريم لينصر المهدي ويقضي على الدجال، ثم يخرج ياجوج وماجوج زمانه، فهذه ثلاث آيات من العشر حدد ترتيبها،وأما الدخان فأولها لأن كل روايات الحديث تجعله أولها. وآخرها النار التي تخرج من اليمين لتصريح لفظ الحديث بذلك. وذكر ابن حجر نقلاً عن الحاكم قوله:"الذي يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة ثم تخرج الدابة في ذلك اليوم أو الذي يقرب منه"[1]وما بقي فلا يعلم ترتيبه ولم يوجد نص صريح واضح والله أعلم.

وعقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالساعة وأشراطها جملة وتفصيلاً على ما ورد في الكتاب العزيز والسنة المطهرة خلافاً لكل من أنكرها جميعاً أو بعضها. وقد لخص الطحاوي عقيدة المسلمين بقوله: (ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم من السماء ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض من موضعها...)[2].

ولم يظهر في تاريخ الإسلام من ينكر أشراط الساعة جملة وتفصيلاً الكبرى والصغرى كالمدرسة العقلية الحديثة يقول السيد محمد رشيد رضا: (ويرد من الأشكال على ما ذكر أن ما ورد من الأشراط الصغرى المعتاد مثلها التي تقع عادة بالتدرج لا يذكر بقيام الساعة ولا تحصل به الفائدة التي من أجلها أخبر الشارع بقرب قيام

(1) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري. جـ 1 ص 253.
(2) ابن ابي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية. ص 564.

الساعة وأن ما ورد من الأشراط الكبرى الخارقة للعادة يضع العالم به في مأمن من قيام الساعة قبل وقوعها كلها فهو مانع من حصول تلك الفائدة فالمسلمون المنتظرون لها يعلمون أن لها أشراطاً تقع بالتدرج فهم آمنون من مجئيها بغته في كل زمن، وانما ينتظرون قبل ظهور الدجال والمهدي والمسيح υ ويأجوج ومأجوج وهذا الاعتقاد لا يفيد الناس موعظة ولا خشية ولا استعدادا لذلك اليوم وتلك الساعة، فما فائدة العلم به إذاً؟)[1].

ويرد على ذلك أن الغاية من تعمية أمر الساعة وإخفاء موعدها، هو حث المؤمنين على مراقبة أعمالهم، ومحاسبة أنفسهم استعداداً لذلك اليوم الذي يأتي فيه كل ما صنع الإنسان، كما أن إبراز أشراطها، والإسهاب في وصفها دونما تحديد زمن معين لها، يؤدي نفس الغرض، فكلما تظهر آية من الآيات يراجع المؤمن نفسه ويخشى أن يكون زمانه آخر الأزمان. ولهذا جوز النبي ρ ظهور الدجال في زمانه- كما في قصة ابن صياد – تحقيقاً لمنهج الاستعداد الدائم والترتيب المستمر،وليس كما قال محمد رشيد رضا أنه سيحذرها من علم أشراطها فهو آمن.

أما أشراط الساعة الكبرى على التفصيل فهي:

المطلب الثاني: الدخان:

آية الدخان التي تسبق الدجال، ولقد اقترنت هذه العلامة مع الدجال في الحديث الذي رواه مسلم عن حذيفة بن اسيد τ فذكر الدخان والدجال . الدابة ...

(1) محمد رشيد رضا، تفسير المنار. جـ9 ص 448 - 449.

الحديث[1] وفي رواية ابي هريرة قرنت كذلك (بادروا بالأعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدجال والدخان ودابة الأرض)[2].

وهذه العلامة وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: {يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ } (الدخان: 10، 11).

أما ماهية الدخان ومدى تأثيره على البشر فقد جاء توضيحه في حديث أبي مالك الأشعري τ أن رسول الله ρ قال: (إن ربكم أنذركم ثلاثاً : الدخان يأخذ المؤمنين كالزكمة، ويأخذ الكافر فينتفخ، حتى يخرج من كل مسمع منه).[3] وورد عنه ρأنه يمكث في الأرض أربعين يوماً [4].

المطلب الثالث: المهدي:

وقبل الحديث عن العلامة الثانية لا بد من الحديث عن مهدي آخر الزمان.

اسمه ونسبه: هو محمد بن عبد الله الحسيني الفاطمي الهاشمي القرشي. روي ابن مسعود τ عن النبي ρ قال: (لا لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلاً مني - أو من أهل بيتي – يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً) [5]وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ρ:(المهدي من عترتي من ولد فاطمة)[6].

([1]) سبق تخريجه.
([2]) رواه مسلم كتاب الفتن. جـ 18 ص 299 برقم (2947).
([3]) أخرجه ابن كثير، تفسير القرآن العظيم. جـ4 ص 149.
([4]) رواه الإمام النووي عن حذيفة رضى الله عنه أنظر شرح النووي على مسلم. جـ 18 ص 241.
([5]) أخرجه أبو داؤود، السنن كتاب المهدي. جـ4 ص 106 برقم 4282، الترمذي، السنن كتاب الفتن. جـ 4 ص 505 برقم 2230 وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة. جـ 5 برقم 1529.
([6]) رواه أبو داؤود، السنن كتاب المهدي. جـ 4 ص 107 برقم 4284، وابن ماجة كتاب الفتن جـ 2 ص 1386برقم 4086، الحاكم، المستدرك. جـ 4 ص 557.

وجماهير أمة الإسلام متفقة على اسمه ونسبه وأنه من ولد فاطمة الزهراء رضي الله عنها. وينحصر ما بين الحسن والحسين فلا يعرف للزهراء ولد غيرهما، ولقد أوضحت الأحاديث صفاته الجسمية المميزة له فهو أجلى الجبهة ومعناه أن شعره خفيف عند النزعتين إذ قد ذهب شعر رأسه إلى نصفه وهو أقني الأنف أي طويله مع دقة عند أرنبته وحدب في وسطه، وما بقي من الصفات لا يخالف فيها بشري آخر. عن أبي سعيد الخدري τ قال: قال ρ: المهدي مني، أجلي الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً يملك سبع سنين[1].

ولم ترد روايات تحدد الزمن الذي سيخرج فيه هذا الخليفة العادل يقول ابن كثير: (وأظن ظهوره يكون قبل نزول عيسى ابن مريم υ) [2] و أما مكان خروجة فغير محدد بالضبط فلم يرد شئ يذكر أنه يخرج من قطر معين. ولكن هنالك أحاديث ضعيفة بتعاضدها يستأنس أنه يخرج من قبل المشرق دونما تحديد لأي المشارق.

وورد أن المهدي لا يطلب الخلافة بل تأتيه راغمة، ويجتمع الناس عليه ويبايعونه دونما اختيار منه عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: سمعت النبي ρ يقول: يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج خليفة من بني هاشم فيأتي مكة فيستخرجه الناس من بيته بين الركن والمقام ... فيستفتح الكنوز ويقسم الأموال[3] وفي رواية عند

([1]) رواه أبو داؤود السنن كتاب المهدي. جـ4 ص 107 برقم 4285، أحمد، المسند. جـ3 ص 17، الحاكم، المستدرك. جـ 4 ص 557 وقال الألباني حديث صحيح أنظر صحيح الجامع. جـ5 ص 71 برقم 5181.
([2]) ابن كثير، النهاية في الملاحم والفتن. جـ1 ص 49.
([3]) مجمع الزوائد. جـ8 ص 218.

أبي داود "فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام[1].

وقد جمع د.عمر الأشقر شطراً من العلماء الذين نصوا على أحاديث المهدي ومنهم: (الحاكم، والذهبي، وأبي نعيم وابن العربي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم الجوزية، والحافظ ابن حجر العسقلاني والعلامة جلال الدين السيوطي. ثم علل قائلاً : (ولذلك لا يلتفت لمن ضعف هذه الأحاديثوأكذب بها ممن ليس من فرسان هذا العلم)[2].وقد نص أكثر العلماء المصححين لأحاديث المهدي أنها بلغت حد التواتر يقول العلامة الفاريني وقد كثرت بخروجه – أي المهدي – الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عد من معتقداتهم) [3] ويقول الشوكاني: (الأحاديث التي جاءت في المهدي المنتظر متواترة ... وهي متواترة بلا شك ولا شبهة)[4].

أما عن المصنفات التي حوت أحاديث المهدي فقد جمع الشيخ عبد المحسن العباد ستاً وثلاثين مصنفاً من كتب السنة أفردت باباً للمهدي [5] واما المصنفات المستقلة بالمهدي فقد عدها الشيخ جاسم الياسين فبلغت ستاً وعشرين مصنفاً مفرداً [6].

([1]) أبو داود، السنن كتاب المهدي. جـ 2 ص 107 برقم (4286).
([2]) د. عمر الأشقو كتاب اليوم الآخر. ص 210.
([3]) محمد السفاريني، المسيخ الدجال. ص 29.
([4])رواه القنوجي في الإذاعة مستدلاً . جـ1 انظر الإذاعة. ص 13، 114.
([5]) عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر. ص 166.
([6]) أنظر كلام الشيخ جاسم الياسين في تحقيقه لكتاب البرهان في علامات مهدي آخر الزمان. جـ1 ص 347.

وقبل أن أنهي كلامي عن المهدي لا بد أن أعرض بمن أنكروا صحة أحاديثه، بيد أن الاستقراء الذي قمت به، وما أطلعت عليه من الكتب التي استقرأت هذا الأمر لم أجد ولم أقرأ لأحد من سلف الأمة أنكر المهدي أواستهجان للأمر بل جل كتابتهم وأقوالهم المنقولة تؤكدها وتوضح أصالتها، لقربهم من زمن النبوة والوحي، ولم ينكرها أحد إلا زمن الضعف والشتات في عصر الدويلات زمن ابن خلدون رحمه الله وغفر له وهذا في القرن الثامن الهجري فقد أفرد (10) صفحات للكلام على قضية المهدي في مقدمته، فقد جمع فيها (28) حديثاً تدور حول المهدي وأخذ يمحص أسانيدها حتى أثبت كما ظن ضعف أكثرها وفي ختام البحث قال: وهي كما رأيت لم يخلص منها من النقد إلا القليل أو الأقل منه[1]ومن خلال كلامه نلاحظ أنه لم يصرح صراحة بإنكاره لها فلا يحق لأحد إلزامه بما لم يقل، ويؤيد كلام د. عمر الأشقر فيقول ويحسن أن ننبه هنا أن بن خلدون ضعف أكثر الأحاديث الدالة على وجوده ولم يصب فيما ذهب إليه، ولكن لا يجوز أن يقال أن بن خلدون لا يقول بوجود المهدي فإنه صحح بعض هذه الأحاديث وقد جمع ابن خلدون 28 حديثاً بينما جمع الشيخ أحمد بن الصديق الغماري (100) حديث غير التي ذكرها ابن خلدون في مصنف سماه (إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون) [2] .وصحح كثيراً منها، ولم يقل أحد بعده بإنكارها حتى أواخر دولة بني عثمان وهوالمحدث الحوت البيروتي [3] يقول عن أحاديث المهدي: كلها ضعيفة وليس فيها ما يعتمد

([1]) ابن خلدون، المقدمة ص 205. وإبتدأ الكلام عن المهدي من. ص 199.
([2]) د. عمر الأشقر، اليوم الآخر. ص 211.
([3]) المرجع السابق. ص 211

عليه[1] ثم هنالك العلامة ابن بدران الدمشقي من المعاصرين الذي يرى أن أحاديث المهدي تصدق على المهدي العباس [2] وهوقول غريب لم يسبق إليه أحد.

أما أصحاب المدرسة العقلية الحديثة الذين أنكروا جميع أشراط الساعة ويكاد يكون إجماع متفق عليه بينهم على إنكار ظهور المهدي مثل أحمد أمين [3]وكذلك الأستاذ سعد محمد حسن [4]وأيضاً محمد فريد حجاب [5]وأيضا الشيخ عبد الله بن زيدال محمود [6]بل ذهب البعض إلى أن المهدي أسطورة من الأساطير الشعبية التي تناقلتها السنة الناس ولا علاقة لها بالإسلام وعقائده ثم مع الأيام تسربت لكتب الحديث المعتمدة منهم محمد عبد الله عنان [7] والأستاذ محمد محي الدين [8] والأستاذ والأستاذ عبد الكريم الخطيب [9] ولكن كل هؤلاء كتاب ومؤلفون لم يستدل واحد منهم بقرآن ولا سنة ولا قول إمامفكيف يعتبر ما كتبوه وما أثبتوه علماً شرعياً يتعلق بالإسلام.

([1]) وهو محمد بن درويش الحوت، أبوعبد الرحمن فاضل حنفي من أهل بيروت ت 1276هـ أنظر الإعلام. جـ 6 ص 356.
([2]) اسنى المطالب في أحاديث مختلف المراتب. ص 272.
([3]) أحمد أمين، ضحى الإسلام. جـ 3 ص 241.
([4]) سعد محمد حسن، المهدية في الإسلام. ص 44.
([5]) محمد فريد حجاب، المهدي المنتظر. ص 55.
([6]) عبد الله بن زيدال محمود، رسالة لا مهدي ينتظر. ص 58.
([7]) محمد عبد الله عنان، تراجم إسلامية. ص 237.
([8]) ذكر ذلك في تحقيقه لكتاب الحاوي للفتاوي للسيوطي. جـ 2 ص 166. الحاشية.
([9]) عبد الكريم الخطيب، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل. ص 539.

والبعض يحاول أن يحمل مسلمة اليهود مسئولية إدخال هذه الخرافة وتقريبها لعقائد الإسلام مثل الشيخ محمد رشيد رضا[1].

المطلب الرابع: الدجال:

أولاً : تعريفه: دجال من فعال بفتح أوله والتشديد من الدجال وهو التغطية لقول ابن حجر (... سمي الدجال لأنه يغطي الحق بباطله وقيل لضربه نواحي الأرض وقيل لأنه يغطي وجه الأرض) [2] ونقل القرطبي عشرة أقوال في سبب تسمية الدجال[3].

ثانياً : مكان خروجه وزمانه: يخرج الدجال من أرض بالمشرق يقال لها خراسان من أرض فارس قبيل نزول المسيح υ ويلبث في الأرض أربعين يوماً ولا يزيد، كما روى أبو بكر الصديق عن النبي ρ قال:(إن الدجال يخرج من أرض بالشرق يقال لها خراسان يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة)[4] ويخرج نتيجة غضبة يغضبها كما كما روى مسلم من قول حفصة لأخيها عبد الله بن عمر ψ (... أما علمت أن رسول الله ρ قال: أنما يخرج من غضبة يغضبها)[5].

([1]) محمد رشيد رضا، تفسير المنار. جـ 9 ص 499.
([2]) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري. جـ 13 ص 191.
([3]) ابي عبد الله القرطبي، التذكرة. ص 847.
([4]) أحمد المسند. جـ 1 ص 4، أبوعيسى الترمذي، السنن كتاب الفتن. جـ 4 ص 509 برقم 2237، الحاكم، الحاكم، المستدرك. جـ 4 ص 527، الألباني سلسلة الأحاديث الصحيحة. جـ 4 ص 122 برقم (15911).
([5]) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفتن. جـ 18 ص 270 برقم 2932.

وأما زمان خروجه فقد قال ρ:(يخرج الدجال في خفة من الدين وأدبار من العلم فله أربعون ليلة يسيحها...)[1].

ويمكث الدجال أربعين يوماً متفاوتة المدد فيوم طوله كطول السنة والذي يليه بطول كمثل مدة شهر، والثالث كأسبوع وبقية الأربعين كمثل الأيام العادية قال ρ (... يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم)[2]ويتبعه خلق كثير وأكثرهم من اليهود قال ρ (... يتبع الدجال من يهود اصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة.)[3]

ثالثاً : صفة الدجال: الدجال فيه عدة صفات خلقية معيبة منها أنه أعور، وأنه ضخم الجثة، مع قصر فيها، وهو كثير الشعر شديد البياض،وشعر رأسه منكس كالرمل إذا هبت عليها الريح، معوج القدمين، ومكتوب بين عينيه كافر.

- أنه أعور جاء في الحديث المتفق عليه عن عبد الله بن عمر أنه ρ قال(... أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية).[4]
- أنه قصير القامة أفحج القدمين: قال ρ (أني حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا، أن المسيح الدجال قصير أفجع أعور، مطموس العين...)[1] فالأفحج: هو المتباعد ما بين الفخذين.

([1]) أحمد، المسند. جـ 3 ص 367، ابن كثير النهاية. جـ1 ص 119.
([2]) مسلم بشرح النووي كتاب الفتن. جـ 18 ص 278 برقم 2937.
([3]) المرجع السابق. جـ 18 ص 297 برقم 2944.
([4]) متفق عليه البخاري كتاب الفتن، فتح الباري. جـ13 ص 90 رقم 6705 ورواه مسلم كتاب الايمان. جـ 18 ص 272 برقم 169.

- مكتوب بين عينيه كافر، فهذه كتابة ظاهرة على جبهته جعلها الله آية ودليلاً على كفره فلا يراها إلا المؤمنون تفضلاً منه جل وعلا لإعلامهم وتكرماً منه ليكونوا من الناجين بإذنه. روى أنس ابن مالك عن النبي ρ قال: (ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب إلا أنه أعور وان ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه { ك، ف، ر}) وفي رواية(مكتوب بين عينيه كافر، ثم تهجاها { ك، ف، ر }يقرؤه كل مسلم) [2]وجاء في رواية عند مسلم عن حذيفة قال (... مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤوه كل مؤمن من كاتب وغير كاتب).[3] وهذا من خوارق النواميس الكونية التي ستكثر في ذلك الزمن قال النووي: (... والصحيح والذي عليه المحققون، أن هذه الكتابة على ظاهرها وأنها كتابة حقيقية جعلها الله آية وعلامة من جملة العلامات القاطعة بكفره وكذبه وأبطاله ويظهرها الله تعالى لكل مسلم كاتب وغير كاتب)[4].
- عقيم لا يولد له. فهو من اليهود ويزيد الله من وضع مكانته وحط شأنه أنه يولد لأبوين ثم يحرمه الله الولد فهو عقيم لا يولد أبداً ، وروى مسلم في صفته "أنه يهودي وأنه لا يولد له ولد، وأنه لا يدخل مكة ولا المدينة"[5].

([1]) أحمد، المسند جـ 5 ص 324، أو داود، السنن كتاب الملاحم جـ 4 ص 116 برقم 4320 وصححه الألباني أنظر صحيح الجامع الصغير. جـ 2 ص 217 برقم 2455.

([2]) متفق عليه البخاري كتاب الفتن، فتح الباري. جـ 13 ص 90 برقم 6712 ومسلم كتاب الفتن. جـ 18 ص 273 برقم 2933.

([3]) مسلم كتاب الفتن. جـ 18. ص 274 برقم 2934.

([4]) النووي، شرح النووي على مسلم. جـ 18 ص 275.

([5]) المرجع السابق كتاب الفتن. جـ 18 ص 263، 264 برقم 2927.

وفتنة الدجال عظيمة ولهولها ذكر الدجال في الأمم السابقة بلغ الله به الأنبياء السابقين جميعهم ولم يخل كتاب أو وحي منزل من ذكره حتى تحذر الأمم خطره وتبلغ من يأتي بعدها قال ρ (ما بعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب....)[1].

ويدعى الدجال الألوهية فيزعم أنه رب العالمين مالك الكون والمحيي والمميت ولكن خلق الدجال ذو العيوب المتعددة ينفي عنه الألوهية فالعور والعين الطافئة وضخامة جثته وقصر قامته والفحج في رجليه تجعل من يراه يزدريه كانسان ولن يقبله كإله يقول ابن حجر: (العور أثر محسوس يدركه العالم والعامي ومن لا يهتدي إلى الأدلة العقلية)[2]وكونه عاجزاً عن دفع النقص عن نفسه دلالة على كذبه.

كما أن الدجال يعطي خوارق مذهلة تلبس العقول فمن ذلك:

أن معه جنة وناراً وليس ذلك على حقيقته فإن معه مثل الجنة ومثل النار وما فيهما عكس ما يبلو من ظاهر هما جاء في حديث حذيفة τ عن النبي ρ قال (إن معه ماءاً وناراً فناره ماء بارد وماؤه نار)[3].

ومن فتن الدجال سرعة انتقاله في الأرض أما سرعة انتقاله فقد ورد عنه ρ قال كالغيث استدبرته الريح[4]وأنه يدخل كل بلاد المعمورة على سعتها إلا مكة

([1]) رواه البخاري كتاب الفتن، فتح الباري. جـ 13 ص 91 برقم 6709.
([2]) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري. جـ 13 ص 96.
([3]) مسلم، صحيح مسلم كتاب الفتن. جـ 18 ص 274 برقم 2934، 2935 والبخاري كتاب الفتن. جـ 6 ص 370 برقم 3159.
([4]) مسلم، صحيح مسلم كتاب الفتن. جـ 18 ص 278 برقم 2937، أبو داود السنن كتاب الملاحم. جـ 4 ص 117 برقم 4321، والترمذي السنن. جـ 4 ص 510 برقم 2240.

و المدينة فإنها حرمتا عليه وكذلك بيت المقدس التي سيحاصرها ولكن فيها سيكون مقتله، ونهاية أمره فيها إن شاء الله[1].

يعتبر إتباع المدرسة العقلية الحديثة ممن ينكرون الدجال [2]أما بإنكار صحة الأحاديث كالشيخ شلتوت الذي يقول أن ألفاظ الروايات متعارضة ولا مجال للجمع بينها[3]والشيخ المراغي الذي اعتبره رمزاً للخرافة والدجل مؤولاً للألفاظ دونما إثبات لحقيقة الدجال وأنه يظهر ونحو ذلك [4]ووافقه الشيخ عبد الرازق نوفل [5]أما محمد رشيد رضا فيتهم مُسلِمة اليهود والنصارى بإدخال مثل هذه الخرافات في الإسلام[6].

الإسلام[6].

المطلب الخامس: نزول عيسى بن مريم υ:

أولاً : الإجماع عليه: وقد نقل العلامة السفاريني إجماع أمة محمد ρ على نزول عيسى ابن مريم υ فقال: وأما الإجماع فقد اجتمعت الأمة على نزوله ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه وقد انعقد إجماع الأمة على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية وليس ينزل بشريعة

([1]) ابن حجر، فتح الباري. جـ13 ص 96.
([2]) نقل ابن حجر أن الخوارج الجهمية والجبائي من المعتزلة أنكروا الدجال.
([3]) شلتوت، فتاوى الإسلام. ص 61.
([4]) مصطفي المراغي، تفسير المراغي. جـ 3 ص 170.
([5])نقلاً عن آخر المقال في المسيح الدجال. ص 11.
([6]) محمد رشيد رضا، تفسير المنار. جـ 9 ص 498.

مستقلة عند نزوله من السماء ... ويتسلم الأمر من المهدي ويكون المهدي من أصحابه وأتباعه كسائر أصحاب المهدي[1].

ثانياً : ثبوت ذلك بالتواتر: والأحاديث الدالة على نزول المسيح قد تواترت معنوياً [2]إذ إنها مفرقة في أحاديث الأشراط الكبرى وأحاديث المهدي وأحاديث الدجال وعددها أكثر من (90)حديثاً [3].

يقول السفاريني: والصواب الذي عليه أهل الحق أن المهدي غير عيسى وأنه يخرج قبل نزول عيسى υ وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عد من معتقداتهم[4].

وقال العلامة الألوسي: ولا يقدح في ذلك ما اجتمعت الأمة عليه واشتهرت فيه الأخبار ولعلها بلغت مبلغ التواتر المعنوي ونطق به الكتاب- على قول ووجب الايمان به وكفر منكره كالفلاسفة من نزول عيسى υ [5].

وقال الشيخ محمد خليل هراس: (وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ρ أنه أخبر بنزول عيسى υقبل يوم القيامة إماماً عادلاً .. وهي أي الأحاديث –وإن كان كل منها حديث آحاد إلا أن القدر المشترك بينها متواتر تواتراً معنوياً يفيد القطع

([1]) لوامع الأنوار البهية. جـ2 ص 94.

([2]) المتواتر ينقسم إلى تواتر لفظي وتواتر معنوي وهو ما تواتر معناه.

([3]) أنظر البخاري كتاب الأنبياء وكتاب المظالم، ومسلم كتاب الإيمان، تحت باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام، وابن ماجة، السنن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم والترمذي كتاب الفتن.

([4]) السفاريني، لوامع الأنوار البهية. جـ2 ص 84.

([5]) شهاب الدين الألوسي، تفسير روح المعاني. جـ 22 ص 34.

بثبوت مضمونها)[1]وقال في موضع آخر (... وإن كان حديث آحاد إلا أنها قد رويت عن عدد كبير من الصحابة من طرق متعددة فإذا ضم بعضها إلى بعض أفادت التواتر المعنوي وهو يفيد القطع كالتواتر اللفظي)[2].

وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: (واعلم أن أحاديث الدجال ونزول عيسى υ متواترة يجب الايمان بها ... كما شهد بذلك ائمة هذا العلم كالحافظ ابن حجر وغيره) [3] وقال امام أهل السنة أبو الحسن الأشعري:(جملة ما عليه أهل الحديث وأهل السنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله... ويصدقون بخروج الدجال وأن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام يقتله)[4].

وبمثله روى الإمام النووي نقلاً عن القاضي عياض في شرح مسلم [5] وكذلك وكذلك قول الحافظ ابن تيمية في مجموع الفتاوي[6].

ثالثاً : وقت نزوله: إن وقت نزوله لا يعلمه أحد لا يوم من الشهر أو شهر من السنة ولا في أي قرن ولكننا نعلم بما أعلمنا من الأحاديث أن نزوله يكون في آخر الزمن وقرب نهاية العالم، يأتي نجدة للعصبة المؤمنة، بقية أهل الحق المحصورين ببيت

([1]) محمد خليل هراس، فصل المقال. ص 23.
([2]) المرجع السابق. ص 58.
([3]) أنظر كلامه على هامش الطحاوية. ص 501.
([4]) أبو الحسن الأشعرى، مقالات الإسلاميين. ص 345.
([5]) النووي، شرح النووي على مسلم. جـ18 ص (11).
([6]) ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام. جـ 4 ص 329.

المقدس فينصرهم على عدوهم الدجال فزمنه بعد المهدي وبعد الدجال وقبل ياجوج وماجوج واكثر من هذا لا نملك تحديداً لزمن.

رابعاً : موضع النزول ومهمته: أنه ينزل عند المنارة شرقي جامع دمشق. جاء في حديث النواس بن سمعان أنه ρ قال: إذا بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق.بين مهرودتين [1] واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطا رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتي عيسى قوم عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم [2].فيكون إهلاك الدجال - لعنه الله – على يدي المسيح عيسى ابن مريم υ كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة فبعد أن يظهر الدجال على الأرض كلها إلا مكة والمدينة ويتكاثر أتباعه حتى يصيروا أكثر ذرية آدم في ذلك الوقت وتعم فتنة لا ينجومنها إلا فئة قليلة من المؤمنين ينحازون إلى جبل بيت المقدس فيحصرهم ليقضي عليهم فيأتي رسول الله عيسى υ ليقضي عليه ويكون هذا أول عمل له بعد نزوله إلى الأرض، جاء في حديث أبي هريرة عند مسلم:(فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربته)[3].

([1]) أما المهرودتين معناه لابس مهرودتين أي ثوبين مصبوغين، شرح النووي على مسلم. جـ 18 ص 280.

([2]) باختصار، رواه مسلم كتاب الفتن. صحيح مسلم بشرح النووي. جـ 18 ص 277 برقم 110، ابن ماجة، السنن كتاب الفتن. جـ2 ص 387 برقم 4075، الحاكم، المستدرك. جـ2 ص 492.

([3]) بإختصار صحيح مسلم كتاب الفتن، صحيح مسلم بشرح النووي. جـ 18 ص 238 ورواه الإمام أحمد، المسند. جـ 2 ص 279، 309، 331. . . . رواه في ثمانية مواضع. ابن ماجة، السنن كتاب الفتن. جـ2 ص 1369 برقم 4090.

وأيضا من مهام عيسى υ أنه يحكم شريعة الإسلام ويقضى على الضلال جاء في قوله ρ (فيقاتل الناس على الإسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام) [1] ويقع السلام ويعم الأمن فعند زوال الأديان والمعتقدات ودخول الناس جميعاً في دين الإسلام تزول إحدى أهم مسببات الحروب وهي الأديان ثم تبقي المادة وجمعها وهي السبب الثاني للحروب والمشاكل وهذا سيزول فبزوال أسباب الكفر والمعصية وذهاب العُصاة والفَجَرة وبقاء الإيمان والإسلام تعود الأرض لسيرتها الأولى فتخرج بركاتها في الزروع والثمار ولكثرة المال لا يطلب ولا يظهر مسكين ولا ترى فقيراً أومحتاجاً وتختفي ظاهرة الجوع حتى أن المسيح υ يترك الزكاة فلا يأخذها لاستغناء الفقراء وعدم الحاجة.

قال النووي: (ومعناه أن يزهد الناس فيها – أي الابل - ولا يرغب في اقتنائها لكثرة الأموال وقلة الآمال وعدم الحاجة، والعلم بقرب القيامة)[2].

فإذا آمن الناس انعكس الأمر على الأرض والخلائق جاء في حديث أبي هريرة (... وتقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الابل والنمار مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم) [3]سبحان الله العظيم القادر على كل شئ.

المطلب السادس: خروج ياجوج وماجوج:

([1]) صحيح مسلم كتاب الايمان، صحيح مسلم بشرح النووي. جـ 2 ص 550 برقم 234 والإمام أحمد، المسند. جـ2 ص 493.

([2]) النووي، شرح النووي على مسلم. جـ2 ص 552.

([3]) المرجع السابق. جـ 2 ص 552.

ذكر الله تعالى ياجوج وماجوج في موضعين من كتابه العزيز الأول في سورة الكهف من قصة ذي القرنين إذ قال تعالى: { السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً قَالُواْ يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً } (الكهف: 93-95) وقال تعالى: { حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ } (الأنبياء: 96).

وقد ورد ذكر ياجوج وماجوج في السنة بأحاديث كثيرة منها حديث حذيفة بن أسيد τ وقد سبق ذكره، وذكر فيه ρ خروج ياجوج وماجوج [1] وروى عن النبي ρ أنه قال: (لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها)[2].

وقال القنوجي في الإذاعة: (وجملة القول في ذلك أنهم من بني آدم ثم من بني يافث بن نوح وذكر ابن عبد البر الاجماع عليه) [3] وهما أُمتان كثيرتا العدد.

ولقد ربطت آيات سورة الكهف بين ياجوج وماجوج وذي القرنين فالحق تبارك وتعالى أخبرنا أن السد الذي أقامه حق لا مِرْيَةَ فيه وقد ثبت بالسنة، والعقل لا يحيله فوجب اعتقاده بل وان السد يمنعهم من الخروج كما دل على ذلك قوله تعالى: فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً } (الكهف: 97) كما أنه تعالى أخبر أن هذا السد

([1]) النووي، شرح النووي على مسلم كتاب الفتن.
([2]) صحيح البخاري كتاب الأنبياء جـ3 ص 1221، ومسلم كتاب الفتن. جـ18 ص 219 حديث رقم 2880.
([3]) القنوجي، الإذاعة. ص 165.

يقع جهة الشرق وهذا قطعاً لقوله تعالى: { لَمَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ } (الكهف: **90**) كما أخبر أن هذا الوضع مستمر إلى آخر الزمان عندما يأتي وعد الله الحق ويؤذن لهم بالخروج فعندها فقط يدك السد ويخرجون على الناس قال تعالى: { وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً } (الكهف: **98**) وعند ذلك يخرجون أفواجاً كأنهم موج البحر لكثرتهم كما أخبرنا بعضهم يقول الله تعالى: { وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً } (الكهف: **99**).

ويكون هذا قرب قيام الساعة وعندما يكون عيسى υ قد نزل جاء في حديث النواس بن سمعان عند مسلم(... فبينما هو أي عيسى كذلك إذا أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم [1] فحرز عبادي إلى الطور [2] ويبعث الله ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون [3]فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية [4]فيشربون ما فيها ويمر آخرهم.فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء[5] ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم [6]فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه [7] فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم[8]

([1]) قال النووي لا قدرة ولا طاقة يقال مالي بهذا الأمر يد ومالي به يدان. شرح النووي على مسلم. جـ18 ص 281.

([2]) أي ارتحل بهم إلى جبل يحرزون به: أنفسهم والطور: الجبل.

([3]) الحدب: المكان المرتفع، وينسلون: يمشون مسرعين.

([4]) طبرية: بحيرة ماءها عذب وهي قصبة الأردن بالشام وهي انتفاخ في مجرى نهر الأردن.

([5]) أي من كثرتهم أن آخرهم لا يجد فيها ماء.

([6]) كناية عن الجهد والجوع.

([7]) أي يلجأ نبي الله وأصحابه بالدعاء إلى الله ليخلصهم مما هم فيه من الضيق.

([8]) النغف هو الدود.

فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة [1]ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وإصحابه إلى الله فيرسل طيراً كأعناق البخت[2] فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر[3] فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة كالزلقة [4]) [5].

ولا بد من الإشارة إلى أن هذا لم يقع بعد ولم يره بشر إلى الآن ولم ينقل إلينا وألفاظ الأحاديث صريحة واضحة بأن هذا في آخر الزمان وأنه واقع لا محالة ولكن أصحاب المدرسة العقلية قالوا:إن اللفظين – ياجوج وماجوج- ليسا مقصودين ولا يدلان على أمتين بعينهما بلا هما في أي أمة تسعى للفساد. فمثلاً د. عبد الكريم الخطيب يقول:(فأنا نقول بأن ياجوج وماجوج هما جماعتان أو جماعات من تلك القبائل المختلفة التي تسكن الآجام والغابات وتأوئ إلى الكهوف والمغارات والتي لم تبعد كثيراً عن حياة الحيوانات المتوحشة المفترسة، وتسبب كثيراً من القلق والإزعاج للجماعات القريبة منها والتي أخذت حظاً من المدينة والعمران ... وحسبنا أن نذكر هنا المغول وما أحدثوا من إفساد للحضارة الإسلامية، مما لم تحدثه أعظم الزلازل وأتى الأوبئة وأشدها هولاً وفتكاً). [6]

([1]) فرسى جمع فريسة فهؤلاء يموتون بأسرع ما يكون وبأهون شئ وأحقره الدود.
([2]) البخت هو الجمل العظيم شبهت بذلك لطولها وعظمها.
([3]) المدر بيت الطين والوبر بيت الشعر أي المطر يصيب الأرض كلها.
([4]) الزلقة هي المرآة.
([5]) رواه مسلم كتاب الفتن. جـ18 ص 277 وابن ماجة السنن كتاب الفتن. جـ2 ص 387 برقم 4075 الحاكم، المستدرك. جـ2 ص 492، وأبو داود السنن كتاب الملاحم، الترمذي، السنن كتاب الفتن.
([6]) د. عبد الكريم الخطيب، التفسير القرائي للقرآن. جـ 16 ص 708.

بل أن الأستاذ سيد قطب تأثر بهذا القول وأثبته في الظلال من باب الترجيح لا من باب اليقين.فذكر أن خروج ياجوج وماجوج قد تم بغزوهم للمماليك الإسلامية في أوائل القرن السابع للهجرة. (1).

ولكن التتار الذين دمروا الممالك الإسلامية وقضوا على الخلافة العباسية في بغداد قد أسلموا وصاروا حملة للرسالة، بل إن أعمالهم فاقت أعمال من عاصرهم ومن جاء بعدهم فلقد أوصلوا الإسلام إلى مناحي الأرض. وهم الذين أسسوا سلطنة إسلامية في الهند ولم تتحد الهند في تاريخها قبلهم أبداً .

ولعله يستنبط من ذلك أن هذه الحضارة الهائلة التي نراها اليوم ستزول وكل وسائل الدمار المعروفة من قنابل وصواريخ تتلاشى وأغلب الظن أن هؤلاء المتنافسين على سيادة الأرض سيقضون على أنفسهم بأنفسهم ثم نرجع لاستعمال الخيل والرماح والعصي ونحو ذلك دل على ذلك حديث النواس عند الترمذي جاء فيه(سيوقد المسلمون من قسي ياجوج ونشابهم وأسلحتهم وأتراسهم سبع سنين) (2) وقال الدكتور عمر الأشقر في اليوم الآخر كلاماً بنحوه والله أعلم.

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن. جـ16 ص 15.

(2) أبوعيسى الترمذي، السنن كتاب الفتن حديث رقم 2240.

* وبعد نزول سيدنا عيسى فإنه يستمر في حياته كأي إنسان آخر، حتى تنقضي ويحين أجله U وهذه سنة الحياة التي لا مناص منها ويصلي عليه المسلمون ويدفنوه فإنه لا يكون في الأرض أحد سواهم وقد ورد في سنن الترمذي بسنده قال: (مكتوب في التوراة صفة محمد وصفة عيسى بن مريم يدفن معه قال: فقال أبومودود: وقد بقي في البيت موضع) الترمذي، السنن كتاب المناقب. جـ5 ص 588 رقم 3617.

المطلب السابع: طلوع الشمس من مغربها:

ولقد ورد في الكتاب والسنة ما يدل على أن الشمس ستغير سنتها وتشرق من مغربها قرب نهاية العالم كآية من قرب الساعة قال تعالى: { يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً } (الأنعام: 158).

قال الطبري: وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ما تظاهرت في الأخبار عن رسول الله ρ أنه قال: ذلك حين تطلع الشمس من مغربها [1] والذي يبدو من الأحاديث أن الشمس تقوم كل يوم بدوره أو بالأحرى هنالك دورة ما تبرز الشمس بسببها كل يوم من الشرق وتغرب من المغرب وتسير وفق جدول زمني، أو بالأحرى ناموس إلهي دقيق تسير الكواكب وفقه يجعله أشعة الشمس تظهر صباحاً من جهة الشرق وتختفي جهة الغرب.

وسيتمر هذا الحال حتى يأتي اليوم الموعود، حيث تأمر الشمس بعد سجودها بالتوجه من مكان غروبها [2] وينعكس الكون وتختل موازينه إيذاناً بنهايته المحتومة. يقول القرطبي: وإنما لا ينفع نفساً أيمانها عند طلوع الشمس من مغربها لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تخمد معه كل شهوة من شهوات النفس، وتفتر كل قوة من قوى البدن فيصير الناس كلهم لإيقانهم بدنو القيامة في مثال حفرة الموت في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم وبطلانها من أبدانهم فمن تاب في مثل هذه الحال لم تقبل توبته[3].

([1]) الطبري، تفسير الطبري. جـ2 ص 266، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن جـ6 ص 145، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم جـ2 ص 200 وبمعناه روى البخاري كتاب الرقاق، باب طلوع الشمس من مغربها، فتح الباري جـ5 ص 238 حديث رقم 6141. عن أبي هريرة.

([2]) صحيح مسلم كتاب الفتن. جـ2 ص 554 برقم 250.

([3]) القرطبي، التذكرة. جـ 2 ص 95.

ويقول ابن كثير: (إذا أنشأ الكافر أيماناً يومئذ لا يقبل منه، فأما من كان مؤمناً قبل ذلك كان مصلحاً في عمله فهو بخير عظيم، وإن كان مخلطاً فأحدث توبه حينئذ لم تقبل منه توبة)[1].

المطلب الثامن: الدابة:

تظهر دابة الأرض في آخر الزمان علامة من علامات دنوالآخرة واقتراب **َعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لاَ يُوقِنُونَ} (النمل: 82).**

يقول ابن كثير: هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق، يخرج الله لهم دابة من الأرض فتكلم الناس على ذلك[2].

وقد اختلف المفسرون في معنى"التكليم"فذهب البعض إلى أن المراد تكلمهم كلاماً أي تخاطبهم مخاطبة ومضمون كلامها قيل تقول لهم ("إن الناس كانوا بآيات الله لا يوقنون" وهو نص الآية وقيل تكلمهم بمايسؤهم أو تكلمهم ببطلان أديانهم غير الإسلام)[3].

([1]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم. جـ2 ص 203.
([2]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم. جـ 3 ص 386.
([3]) الطبري، جامع البيان. جـ20 ص 30، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن. جـ13 ص 237.

وذهب البعض إلى أن المراد تجرحهم من الكَلْم وهو الجُرح [1] روى الإمام أحمد عن النبي ρ قال:(تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم [2]) [3].

تخرج الدابة ومعها عصا موسى υ وخاتم سليمان υ فتخطم [4] الكافر بالخاتم وتجلو وجه المؤمن بالعصا حتى أن أهل الخوان [5] ليجتمعون على خوانهم، فيقول هذا يا مؤمن وهذا يا كافر [6].

روى الحاكم عن حذيفة بن أسيد قال: يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر تخرج أول خرجة بأقصى اليمين فيفشو ذكرها ... ثم تخرج أخرى قريباً من مكة ... ثم بينما الناس في أعظم المساجد حرمة وأحبها إلى الله وأكرمها على الله تعالى المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهي في ناحية المسجد تدنوا أو تربو... [7] ثم قال أبو عبد الله هذا حديث صحيح الإسناد وهو أبين حديث في ذكر دابة الأرض [8].

ولقد ذكر المفسرون الكثير من الأقوال في صفة الدابة دون سند صحيح وذكروا كذلك أقوالاً في نوعها وهي لا تعدوكونها ظنوناً كقول القرطبي مثلاً أن الدابة هي فصيل ناقة صالح [9] وغير ذلك.

([1]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم. جـ3 ص 386.
([2]) الخرطوم هو الأنف وقيل مقدم الأنف.
([3]) أحمد، المسند. جـ5 ص 268.
([4]) تخطم: أي تسمه ومعناه أن تؤثر في أنفه سمة يعرف بها.
([5]) الخوان: ما يوضع عليه الطعام عند الأكل.
([6]) الترمذي، السنن كتاب التفسير. جـ5 ص 340 برقم 3187، أحمد، المسند جـ15 ص 89 بتحقيق أحمد شاكر وقال عنه إسناده صحيح.
([7]) الحاكم، المستدرك. جـ 4 ص 484.
([8]) المرجع السابق.
([9]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن. جـ13 ص 235.

المطلب التاسع: الخسوفات الثلاث:

تعريف الخسف: خسف المكان يخسف خسوفاً ذهب في الأرض... وخسف الله بفلان الأرض خسفاً أي غيبه فيها.. والخسف إلحاق الأرض الأولى بالثانية والخسف السقف الخرق[1].

روى عن النبي ρ أنه قال: إن الساعة لن تقوم حتى ترون عشر آيات ... فذكر منها .... (وثلاث خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب)[2].

والخسوفات الثلاث هذه من علامات الساعة الكبرى ولم تقع إلى الآن كغيرها من الأشراط وان كان وقوع بعض الخسوفات هنا وهناك فلا يعني أنها هي كما ذهب إلى ذلك الشريف البرزنجي في الإشاعة [3] فهذا غير صحيح، إلا أن الخسوفات الخسوفات الثلاثة المذكورة في الأحاديث فهي عظيمة جداً وعامة أكثر من المعتاد، يقول ابن حجر، وقد وجد الخسف في مواضع ولكن يحتمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدراً زائداً على ما وجد كأن يكون أعظم منه مكاناً وقدراً [4] جاء في حديث أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت:سمعت رسول الله ρ يقول:(سيكون بعدي خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب وخسف في جزيرة العرب قلت يا رسول الله أيخسف

([1]) الزبيدي، تاج العروس. جـ6 ص 84.

([2]) رواه مسلم كتاب الفتن، شرح النووي. جـ18 ص 144 ورواه أبو داوود، السنن كتاب الملاحم. جـ 3 ص 813 برقم 3623.

([3]) ص 49.

([4]) ابن حجر، فتح الباري. جـ13 ص 84.

بالأرض وفيها الصالحون، قال لها ρ إذا أكثر أهلها الخبث) [1] فكلامه ρ دلالة على أنه إذا كثر الخبث وعظمت الذنوب والمعاصي كانت هذه الخسوفات.

المطلب العاشر: النار التي تحشر الناس:

وتكون هذه النار في آخر الزمان عند قرب نهاية العالم وقيام الساعة وتخرج كما صرحت بذلك الأحاديث عن النبي ρ من قعر لمدينة عدن الموجودة في بلاد اليمن جنوبي جزيرة العرب تسوق الناس إلى محشرهم فتبيت معهم حيث باتُوا وتقيل حيث يقيلوا، وهذه الآية هي آخر الأشراط جميعاً وليس بعدها سوى الساعة.

ورد في حديث حذيفة بن أسيد عند مسلم قوله ρ:(وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم، وفي رواية ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس)[2].

يقول ابن حجر: (كون النار تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب وذلك إن ابتداء خروجها من قعر عدن فإذا خرجت انتشرت إلى الأرض كلها)[3].

وعند ظهور الفتن والملاحم تكون النار العظيمة، فتظهر من عدن بأرض اليمن وتنتشر في بقاع المعمورة كافة وتسوق الناس إلى أرض المحشر بالشام.

([1]) الهيثمي، مجمع الزوائد. جـ8 ص 24.
([2]) رواه مسلم كتاب الفتن شرح النووي على مسلم. جـ18 ص 144 برقم.
([3]) ابن حجر، فتح الباري. جـ13 ص 82.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة τ عن النبي ρ قال:(يحشر الناس على ثلاثة طرائق راغبين وراهبين اثنين على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير، ويحشر بقيتهم النار، تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا) [1].

وهذا الحشر في الدنيا دون الآخرة، قال القرطبي (... حشر الناس قبل يوم القيامة إلى الشام وهي النار المذكورة هنا في الحديث)[2].

خاتمة:

نخلص مما مضى إلىأنّ :الإيمان بعلامات الساعة الكبرى هي أحد أصول الإيمان الست، وأنها متتابعة في وقوعها لا يكاد يفصل بينها فاصل زمني، وبعضها متداخل وقبل أن تزول إحداها تقع التي تليها، فهي في تتابعها كالعقد إذا انفرط فإن الحبة الأولى تسقط فتتبعها بقية الحبات بلا تأخير.

وقد تبين من الدراسة أن المهدي يخرج ويعز الإسلام في زمانه، فيخرج الدجال ليقضى على تلك القوة ويحصر المهدي ومن معه، فينزل المسيح υ لينصر المهدي ويقضي على الدجال. ثم يخرج يأجوج ومأجوج زمانه. وأن علامة الدخان اولها،لأن كل روايات الحديث تجعله أولاً . وآخرها النار التي تخرج من اليمن.

([1]) رواه البخاري، باب رقم 45 الحشر. جـ5 ص 2390 برقم 6157، ورواه مسلم كتاب الجنة وصفه نعيمها حديث رقم 2861.

([2]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن. جـ18 ص 302.

وأما بقية العلامات فلا يعلم ترتيبه وهي: الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وثلاث خسوفات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب.

ولا شك أن في إخفاء أمر الساعة وإخفاء موعدها حث للمؤمنين على مراقبة أعمالهم ومحاسبة أنفسهم إستعداداً لذلك اليوم الذي يأتي فيه كل ماصنع الإنسان، كما إن إبراز أشراطها والإسهاب في وصفها دون تحديد زمن معين لها يؤدي نفس الغرض. فكلما تظهر آية من الآيات يرجع المؤمن لنفسه، ويخشى أن يكون زمانه آخر الأزمان وجيله آخر الأجيال، ولهذا جوز النبي ρ ظهور الدجال في زمانه تحقيقاً لفكرة الإستعداد وتأكيداً لعدم معرفة أحد بموعدها.

وينبغي لطالب العلم أن يقف عند نصوص القرآن والسنة ولا يتجاوزها في أمور المعتقد، وأن يضع نصب عينيه هذه العلامات الثابتة لما لها من أثر على زيادة الإيمان والإستعداد الدائم ليوم الحساب.

قائمة المراجع:

1. أحمد أمين، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1973م.
2. أحمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد، تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف، مصر 1950م.
3. سعد محمد حسن، المهدية في الإسلام، دار الكتاب العربي، مصر، 1953م.
4. مجد الدين أبي السعادات المعروف بإبن الأثير، النهاية في غريب الحديث. تحقيق محمود محمد الطناجي وطاهر أحمد الذاوي، طباعة أنصار السنة المحمدية.
5. محمد فريد حجاب، المهدي المنتظر بين العقيدة الدينية والمضمون السياسي، مكتبة التراث الإسلامي، مصر.
6. محمد عبد الله عنان، تراجم إسلامية، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1970.
7. محمود شلتوت، الفتاوى، دار الشروق، مصر الطبعة التاسعة، 1978م.
8. محمد بن يزيد بن ماجة، سنن بن ماجة، طبع في تركيا، سلسلة الكتب الستة.
9. السيد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس، نشر دار ليبيا بنغازي.
10. أحمد بن على بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة.

11. أحمد بن على النسائي، سنن النسائي، وطبع مع حاشية الإمام السندي، سلسلة الكتب الست، طبع في تركيا.
12. أحمد مصطفي المراغي، تفسير المراغي، شركة مكتبة البابي الحلبي، مصر، الطبعة الرابعة، 1969م.
13. محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، الجامع الصحيح – صحيح البخاري - طبع وترقيم د. مصطفي ديب، دار ابن كثير، دمشق.
14. إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، الطبعة الأولى، 1987م تقديم د. يوسف عبد الرحمن.
15. ابن كثير، النهاية في الفتن والملاحم، تحقيق إسماعيل الأنصاري، مؤسسة النور، الرياض، الطبعة الأولى 1388هـ.
16. ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، الطبعة الرابعة، 1399هـ.
17. أبوعبد الله الحاكم، المستدرك على الصحيحين، دار الكتاب العربي، بيروت.
18. أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، مجموع الفتاوى، دار المعارف، الرياض.
19. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، نزول عيسى بن مريم آخر الزمان، تحقيق محمد عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت 1985م.
20. سعد صادق محمد، المهدية في الإسلام، دار الكتب العربي، مصر 1953م.

21. سليمان بن الأشعث أبوداود، سنن ابي داود، مراجعة وضبط محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء السنة النبوية.
22. السيد محمد صديق القنوجي، الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، دار الكتب العلمية، بيروت.
23. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، 1997م.
24. شهاب الدين محمود الألوسي، تفسير روح المعاني، مؤسسة الحلبي وشركاؤه، الطبعة الثالثة 1383هـ.
25. عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق حجر عاصي، مكتبة الهلال، بيروت 1986م.
26. د. عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي.
27. عبد الله بن زيدال محمود، لا مهدي ينتظر، نشر رئاسة المحاكم الشرعية، قطر.
28. علي بن إسماعيل الأشعري، مقالات الإسلاميين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، 1969م.
29. د. عمر سليمان الأشقر، اليوم الآخر، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الثانية1988م.
30. محمد بن أبي بكر الرازي مختار الصحاح، دار المعارف، مصر 1973م.
31. محمد بن أحمد القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى والآخرة، تحقيق السيد الجميلي، دار ابن زيدون، بيروت، الطبعة الأولى، 1986م.

32. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد عبد العلي البرداوي، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1387هـ.
33. محمد خليل هراس، دفع المقال في رفع عيسى υ، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1990م.
34. محمد بن رسول الحسيني البرزنجي، الإشاعة لأشراط الساعة، دار الكتب العلمية، بيروت.
35. محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، المعروف بتفسير المنار، دار المعرفة، بيروت.
36. محمد بن سورة أبوعيسى الترمذي، سنن الترمذي، سلسلة الكتب الستة، طبع في تركيا.
37. محمد السفاريني الحنبلي، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، تعليق عبد الرحمن بابطين، وسليمان بن سحمان، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1991م.
38. السفاريني، المسيخ الدجال وأسرار الساعة، مكتب التراث الإسلامي، مصر، 1987م.
39. محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، دار المعرفة، بيروت.
40. محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثانية، 1987م.
41. الألباني، صحيح الجامع الصغير، المكتب الإسلامي، بيروت، 1974م.

42. محي الدين يحيى بن شرف النووي، شرح صحيح مسلم، مراجعة الشيخ خليل الميسي، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى.
43. المعجم الوسيط، إعداد لجنة من اللغويين، مجمع اللغة العربية، دار المعارف، مصر، 1972م.
44. الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مؤسسة المعارف، بيروت، 1986م.
45. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعارف، مصر.